



إن المتذمِّر لآيات الكتاب الحكيم وتوجيهاته للإنسان عامة وللمسلمين خاصة، سيجد أن حياة المسلم يغلب عليها الجدية سواء في القول أو العمل، فأيامه ما بين علم أو عبادة أو عمل، وقضية الترويح عن النفس بعد التعب والنصب لها نصيب طبعاً، ولكن الأصل هو الحياة الجادة بالأعمال الصالحة، وهذا ليس تشديداً، فهذا هو واجب الإنسان.

يكثر القرآن الكريم من ذكر يوم الحساب الذي يجب أن تكون صورته دائماً أمام الأعين على نحو يؤدي بالإنسان إلى البعد عن الغفلة والطيش وتضييع الأوقات دون فائدة، قال تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمْرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۝ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُوَتِّهِ أَجْرًا عَظِيمًا) النساء- 114 قال ابن عطية في تفسيره: "الضمير في نجواهم عائد على الناس أجمع وجاءت هذه الآيات عامة التناول" وعندما يذم القرآن الحياة الدنيا مقابل الآخرة فإنما يذم ما فيها من اللهو واللعب والاستغراق في زينتها (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ ۝ وَلَعِبٌ ۝ وَإِنَّ الدَّارَ أَلْآخِرَةَ لَهُيَ الْحَيَاةُ ۝ لَوْ كَانُوا ۝ يَعْلَمُونَ) العنكبوت-64، وعندما يذم القرآن الكافرين والمشركين لغفلتهم ولهوهم، فهي إشارة إلى المسلمين أيضاً لا يكونوا من الغافلين، بل متى يقطنون دائماً لفعل الخيرات وعمل الطاعات والبعد عن المعاصي، قال تعالى: (أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفَلَةٍ ۝ مُعْرِضُونَ ۝) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ ۝ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمْعُوهُ وَهُمْ يُلْعَبُونَ) الأنبياء-1 وقال: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَخَذَ لَهُوَ ۝ لَأَتَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا

إن الدين الذي يقول للمسلم (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا لَظَنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) الأنعام / 116 والذى يقول: (وَذَرْ أَذْنِينَ أَتَخْذُوا بِنَهْمَ لَعِبَةً وَلَهُوَ وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَيْ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْ أَنْكَ أَذْنِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) الأنعام-70. والذى يقول: (وَأَتَيْنَعْ مَا يُوْحَى إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ) يونس-109.

هذا الدين لا بد أن يطلب من المسلم أن يحيا حياة جادة حافلة بالأعمال الجليلة، ولا يضيع عمره بالقيل والقال كما جاء في الحديث، ولا بالأشياء التافهة التي يقطع بها الأوقات أو يقتل بها الأوقات كما يعبر أحدهم، وهناك أناس كثُر شباباً وشيباناً يقضون ساعات الفراغ في لعب النرد والورق، وهذا الذي يجعل زُمن هؤلاء هباء منثوراً لأنهم لا يعرفون قيمة الوقت ولا قيمة أنفسهم، قال صلَّى الله عليه وسلم: "نَعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ" أي أن المستفيدن من هاتين النعمتين قلة، والكثير مفرط مغبون.

وقال صلَّى الله عليه وسلم: "لَا تَزُولُ قَدْمَا عَبْدَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خَصَالٍ: عَنْ عَمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا أَعْمَلَ بِهِ".

تعجب أحد عقلاه الغرب من أناس عندهم القدرة على البقاء جالسين طوال ساعات على اللعب بـ (الورق) ويعقب: "وَمِنْ ثُمَّ نَدِرَ أَنَّ الْبَشَرَ لَا يَتَوَقَّفُونَ بِمِنْتَهِي السَّهُولَةِ عَنْ أَنْ يَكُونُوا أَطْفَالًا" (1).

ويعلق المؤرخ الأمريكي (ول دبورانت) على طبيعة حياة المسلم: "وَلِيُسْ فِي التَّارِيْخِ دِيْنٌ غَيْرُ دِيْنِ الإِسْلَامِ يَدْعُو أَتَابَاهُ عَلَى الدَّوَامِ إِلَى أَنْ يَكُونُوا أَقْوَيَاءً، وَلَمْ يَفْلُحْ فِي هَذِهِ الدُّعَوَةِ دِيْنٌ آخَرُ بِقَدْرِ مَا أَفْلَحَ الإِسْلَامَ" (2).

هذه الحياة الجدية لا تعني أن لا يكون هناك أوقات للترويح عن النفس، لأن النفوس إذا كلَّت عميَّت، ولذلك قال الرسول صلَّى الله عليه وسلم تعقيباً على السماح للسيدة عائشة رضي الله عنها بالنظر إلى ألعاب الحبَّة، قال: "لِيَعْلَمْ يَهُودُ أَنَّ فِي دِيْنِنَا فَسْحَةً"

وكان العلماء من السلف يذكرون الملحق والطرائف أثناء دروس العلم حتى لا يمل طالب العلم، وكان الرسول صلَّى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حَقّاً، وكان إذا أَعْجَبَهُ شَيْءٌ تَبَسَّمَ.

قد يستغرب بعض الناس وخاصة من غير المسلمين هذه الجدية في حياة المسلم، عبادات وطاعات وترك المحرمات، يقولون: ما هذا التزمت والضيق، ويررون كل ذلك قيوداً وهم يريدون التفلت من الالتزامات الدينية والأخلاقية، ولا يدركون أن التوازن الذي جاء به الإسلام هو خير للبشرية، حتى لا يطغى شَيْءٌ على شَيْءٍ، توازن بين حاجات الجسم وحاجات الروح، ومن أسماء القرآن أنه: روح وأنه حياة فالإنسان بدون هذه الروح يكون ميتاً معنوياً، ويقال لهؤلاء: هذا هو الإسلام وهذه حياة المسلم في ليله ونهاره وفي عمله وراحته وهذا هو مقتضى العبودية.

1- تأملات / 47 للفيلسوف الألماني (كانط)

2- قصة الحضارة / 13 / 68

المسلم

المصادر: